بشر بن عوانة في موضعه الأبجدي الصحيح في كتابه (الأعلام)[7] أي أنه يضعه مع أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ـ كما هو اسم الكتاب وعنوانه.

إن بشر بن عوانة لا يملك قصيدة متميزة فحسب، ولكنه ـ أيضاً ـ يحتلّ موقعاً خاصاً في أبجدية التاريخ والسير، غير أن هذه الأبجدية تختلف عن سائر الأبجديات، فالزركلي الذي اعتاد أن يضع تاريخ ميلاد المؤلف وبجانبه تاريخ وفاته لا يفعل ذلك مع بشر بن عوانة. إنه يتركه بلا تاريخ وبلا ميلاد وبلا وفاة. وهكذا يخرج بشر بن عوانة من التواريخ. وبما إنه لم يولد فإنه لم يمت أيضاً، أو لنقل إنه لا يموت لأنه لم يولد. ولقد رأينا أن المقامة في كافة أحداثها لم توقع الموت على بشر. ولقد مرّ الموت في المقامة كثيراً وتعرض له ركب المرأة الجميلة مثلما ذاقه قوم فاطمة الذين (كثرت مضرات بشر فيهم واتصلت معراته إليهم). ومات الأسد (داذا) وماتت الحية (شجاع)، ولكن بشراً لم يمت، وانتهى النص من دون موت بشر.

إنه شخصية فريدة، شخصية لها قصيدة، ولكن ليست لها حياة. إنها شخصية لغوية لها وجود نصوصي، وهو وجود ابتكاري.

إنه لغة تتكلم وتبارز وتحب وتكره وتنتصر كثيراً وتنهزم مرة ـ ولكنها لم تمت ـ لقد أثخنتها سهام الهزيمة ومزقت جلدها، ولكن بشراً ذا الجلد الممزق لم يمت. وظل يطرز المقامة الحادية والخمسين في مقامات الهمذاني باسمه حيث صارت المقامة البشرية وبتحركاته الدرامية التي أشعلت جوّ هذه المقامة بالصراع والحبّ والمقاتلة والشعر.

---

(7) خير الدين الزركلي: **الأعلام** 27/2.